رسائل ابن عربي

العظمة ومراتب علوم الوهب
ومنازل الفهوانية ورسائل أخرى

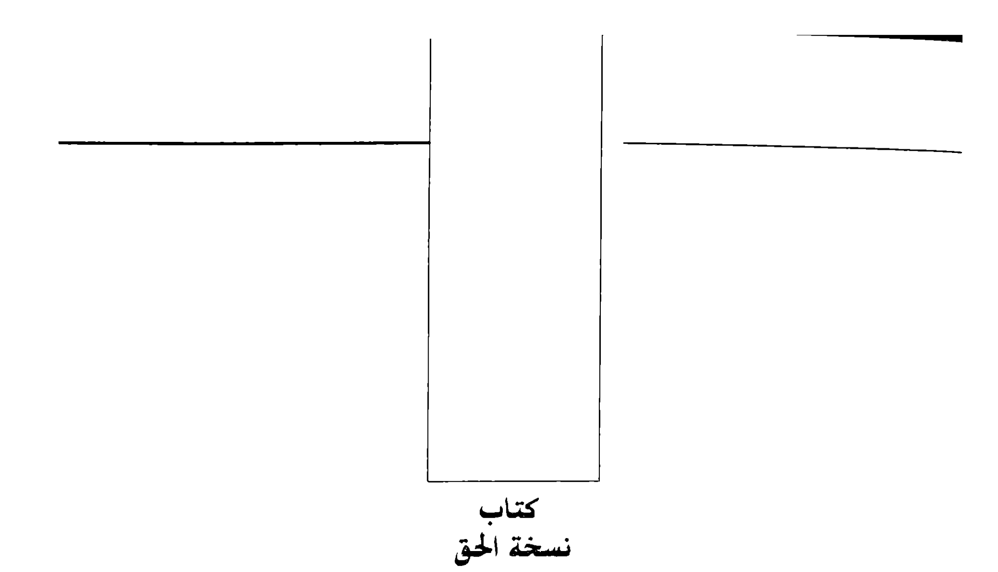
(١)



تحقيق وتقديم

سعيد عبد الفتاح





كتاب
نسخة الحق

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال سيدنا وشيخنا وامامنا الشيخ الامام [illegible] وامام

الحقيقة [illegible] وحيد دهره وفريد عصره محيي الدين [illegible] عبد الله [illegible]

الحاتمي الطائي غفر الله له ونفعه

الحمد لله الذي جعل الانسان [illegible]

[illegible]

الورقة الأولى (أ) من مخطوط «نسخة الحق»

هذا الكتاب من مكتبة ولي الدين رقم (١٨٢٦) وهو الكتاب الثالث ضمن هذه المجموعة من (ص ١٢ ـ ١٦) مقاس ٢٠ × ١٦ سم.

وقد حصلت على صورة ورقية من هذا الكتاب عن طريق معهد المخطوطات العربية تحت رقم (٥٣٢ تصوف).

وهذه النسخة:

* كتبت سنة ٨٢٣ هـ كما هو مبين على نهاية المخطوطة وكذا في بعض نسخ المجموعة سنة ٨٢٣ هـ.
* مبين عليها اسم الناسخ أحمد بن أبي بكر.
* عليها مقابلات.
* هذه النسخة أخذت عن نسخة أصلية بحضرة منشئها.
* غلاف النسخة لم يكتب عليه شيء سوى عنوان الكتاب بخط نسخي كبير.
* لا توجد عناوين داخل النسخة المخطوطة.
* كتبت بخط نسخي معتاد كسائر المجموعة.
* مسطرتها ٢١ سطراً.
* عدد الكلمات من (١١ ـ ١٣) كلمة في السطر الواحد.
* انظر صور ونماذج من المخطوط.

الورقة الأولى (ب) من مخطوط «نسخة الحق»

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال سيدنا وشيخنا وإمامنا الشيخ الإمام العالم المحدّث شيخ الطريقة وإمام التحقيق نسيج وحده وفريد دهره: «محيي الدين أبي الفضائل أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الحاتمي الطائي» غفر الله له ونفعه:

الحمد لله الذي جعل الإنسان الكامل معلم الملك وأدار سبحانه تشريفاً وتنويهاً بأنفاسه الفلك. فما لك لا تشكر الله أيها الإنسان على ما خوّلك، وما لك لا تحمد الله وقد نزّلك آمراً بين سمائه وأرضه وبما فضلك ووضعك في أول نشئِك ميزاناً في أرضه فما كان أعدلك. جمع لك سبحانه في خلقك بين يديه تمييزاً على سائر خلقه فسوّاك وأعدلك، وفي أحسن تقويم خلقك فكمَّلك، وعلى الصورة الإلهية فطرك، وعلى ثمانيتها حملك، فأنزلك خليفة في الأرض الجامعة لأصناف المكلفين من معدن ونبات وحيوان وإنس وجن وملك. وخلع عليك خلع الأسماء كلها فجمّلك فما بقي ملك في السموات والأرض ممن قدح فيك إلاّ أسجده لك، وبرزت الحقيقة في أحسن زينة وقالت هيت لك. فأنكحتها بكراً صهباء في لُجّة عمياء نكاحاً لم يفنك عمَّا به الحق وصَّلك. فأدّيت الأمانة إلى أهلها فلم يَجُر عليك لسان ما أظلمك وما أجهلك.

وسبب ذلك كون عين شمسك ما دلّك وما استتر عنك من لم يزل معك، وإن نزّلك فغمرك النور الاعتصاميّ وشملك وتخلصت به من سلطان حنادس هذا الحلك، وخلصت به تدبيرك وعملك. إذ كنت المدبر لعالم الكون الذي إن صرفت وجهك عنه ساعة فُني وهلك. وصلى الله على من حكم بين الناس بالقسط، وما اتبع أهواءهم فكان أحسن خليفة ملك، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد

فإن الله تعالى لمَّا أوجد العالم أوجده على ثلاثة أنواع من الايجاد.

- فنوعٌ أوجده بكُنْ لا غير، وهو أكثر العالم.
- ونوعٌ أوجده بكن واليد الواحدة كجنة عدن، والقلم، وكتبة التوراة وغير ذلك.
- ونوعٌ أوجده بكن ويديه. وهو الإنسان خاصة ولذلك خرج على الصورة كما قال (عليه السلام):

«إن الله خلق آدم على صورته»[1].

فلما أبدع تركيب جسده من كل حقيقة في عالم الكون المركب، وحطت فيه قوى عالم الأفلاك والأركان، وليستعد لقبول الفيض الروحاني نفح فيه الروح فنطق بالثناء والحمد لله، ولكن بعد ما انتشر فيه النور، وخرق مسالك ظلمته فعطس فحمد الله فقال الله:

«يرحمك ربُّك يا آدم لهذا خلقتك».

فسبقت رحمته به غضبه. أي نتيجة الغضب بخروجه من الجوار الأدنى إلى الجوار الأقصى، من عالم الراحة إلى عالم المكابدة والمجاهدة والاستحالات الردية، وجمع له بين يديه تشريفاً وابتلاءً ولهذا قال تعالى تنبيهاً على التشريف:

﴿يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ﴾[2].

فأول مقام حصل فيه مقام الأعراف، ومنزل الوسط وقيل له:

مهما ملت إلى جانب ووفَّيته نقصت الآخر، ولا يصح لك المشي على حكم الوسط لأنك خلقت للإنتاج فرياحك لواقح فلا بد من الميل. فإن كنت فلا بد مسائلاً فهذا تبيين لك لأي الجانبين تميل. فأبرز له الأنوار على الجانب الأيسر، وأبرز له الظُّلَم على الجانب الأيمن. وقال في الأيمن:

هذا صراط ربك مستقيماً. فإن دخلت في هذه الظلم فستحصّل أقصى ما يكون من الأسرار والحكم. هذه الظلمة هي غيب الغيب وحضرة إلهية والجلال لا تسلك أبداً إلاَّ بنور السالك. فإن كان السالك ذا نور دخل ومشى قدر ما تعطيه قوته ثم يرجع إلى موقفه، وقد

---

(١) حديث: (**إن الله خلق آدم على صورته**)، أورده صاحب كتاب الأحاديث القدسية طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة وفيه: رواه الإمام البخاري بدء الخلق باب خلق آدم، ١٣١/٤، بدء الأذان ١٨ ـ ٥. ورواه الإمام مسلم في بيان صفة الجنة ٢٩٤/١٠، انظر: الأحاديث أرقام ٩١، ٩٢، ٩٣ من **الأحاديث القدسية** ٩٥/١.

(٢) الآية رقم (٧٥) من سورة ص.

حصل من المعارف المشهدية ما لا يعرفه إلاَّ هو خاصة، وتنبعث من هذه الظلمة ريح شديدة تطفي سرح الأفكار فلا يدخل فيها ذو فكر أبداً.

ولذلك قال (صلى الله عليه وسلم)

«تفكّروا في آلاء الله، ولا تتفكروا في ذاته»[1].

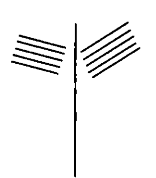
وقد ذكرنا في غير ما موضع من كُتبنا، لما مُنع من التفكر في الذّات وكذلك كل ما لا يستقل العقل بإدراكه بهذه المثابة. ثم قيل للإنسان وهذه الأنوار على الجانب الأيسر أنوار الهداية يبصر بها طريق النجاة من طريق الهلاك، وهو قوله:

﴿إنَّا هديناه السبيل إمَّا شاكراً وإمَّا كفوراً﴾[2].

﴿وهديناه النجدين﴾[3].

فإذا مشى الإنسان على يساره فإنه لا يمشي حتى لا يستقبله. فإذا استقبله رجعت الأنوار على يمينه فرأى انفهاقها من الجانب الأيمن، ويرتمي لها شعاع على الجانب الأيسر فتعاين ما بين الجانبين من التفاوت. وغاية كل جانب. فلتسلك الوسط هنا ولا بد. ولا تميل لأحد الجانبين. فإن الميل إلى الجانب الأيمن يرمي بسالكه في بحر البهت والسكون فيخسر عمره فتنقص مرتبته عن مرتبة غيره. فإن دار التكليف والترقي بالأعمال إذا لم يعمل فيها الإنسان ما يليق بها لم يجن ثمرة. أي لم يغرس ما يجني. وأنف من ذلك رجال الله.

والميل أيضاً إلى الجانب الأيسر يلقيه في بحر التلف وهلاك الأبد، والنجاة في ثبوتك على الطريق الوسطى من غير ميل إلى أحد الجانبين. وهذا هو الطريق الذي قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وخط بيده في الأرض، وخطّ خطوطاً عن يمين الخط ويساره هكذا.



(١) حديث: **(تفكروا في آلاء الله، ولا تتفكروا في ذاته)**، رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله). ورواه ابن أبي شيبة. أما روايتنا هذه فقد أوردها أبو نعيم أيضاً عن ابن عباس ورواها الطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشعب عن ابن عمر مرفوعاً، وانظر ما أورده العجلوني في **كشف الخفاء** حديث رقم (١٠٠٥)، ٣١١/١.

(٢) الآية رقم (٣) من سورة الأنبياء.

(٣) الآية رقم (١٠) من سورة البلد.

وتلا:

﴿**وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبَل فتفرق بكم عن سبيله**﴾[1].

ولما أُنشِيءَ الإنسان الأول هذه النشأة، ونُفِخَ فيه الروح كانت نشأته أكثف النشآت الإنسانية، فأُعطي علم الأسماء في أصل نشأته. جُبِل على ذلك، ولو تُرِك حتى يعرفها بطريق الكسب من باب المجاهدات والرياضات لم يصل إلى ذلك إلاّ بعد قطع ثلاث مائة قاطع، والذين هم اليوم على قلب آدم هم ثلاث مائة لثلاث مائة خلق إلهي.

وقد ورد في الخبر:

«**إن للّه ثلاث مائة خلق**».

وصورة هذا الإعطاء هو علم حقائق الموجودات. والحقائق هي المعروضة على الملائكة وهم المسمّون.

ولهذا قال:

﴿**ثم عرضهم**﴾[2].

ولم يقل عرضها. وأوجدها لهم في حضرة التمثل فأشار إليهم فيها بأسماء هؤلاء فما عرف أحد منهم صورة تركيب الحقائق لكونهم ليس لهم قدم فيها ذوقاً. إذ نشأتهم مجردة عن المواد، ولذلك لم يدخل إبليس مع الملائكة في شهود هذا العرض مثلما دخل معهم في حضرة التكليف بالأمر بالسجود. فلما لم يكن لهم في علم التركيب الطبيعي شرب، ولا أعطته حقائقهم قالوا:

﴿**قالوا سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم**﴾[3].

فقال لآدم:

﴿**أنبئهم بأسمائهم**﴾[4].

فأخذ حقيقة الجسم، وحقيقة التغذي، وحقيقة الحس وحقيقة النطق.

فقال هذا الإنسان وأزال حقيقة النطق وركب على ما بقي حقيقة الصّهيل فقال: هذا فرس.

---

(١) الآية رقم (١٥٣) من سورة الأنعام.

(٢) الآية رقم (٣١) من سورة البقرة.

(٣) الآية رقم (٣٢) من سورة البقرة.

(٤) الآية رقم (٣٣) من سورة البقرة.

وهكذا في جميع الحقائق، فعلّمهم صفات الاشتراك والصفات التي بها يتميز كل نوع عن نوع آخر. وذلك لأنهم من عالم الحلّ والتركيب وهذا صادر من تركيبات النسب الإلهية من هناك صدرت. وكذلك النسب الروحانية، والوجوه وترتيب التركيبات في الأولاد مشهد من ترتيب الموجودات الأمهات، وكما وقع التولد عن ذلك الترتيب كذلك وقع التوالد هنا فرجعت الملائكة بعد قبولها لهذا العلم الآدمي فوجدت أنفسها على ضرب من التركيب في ترتيب وجوهها ونسبها وتوقف بعض وجوهها على بعض فعلمت أنها بذلك الأمر قبلت تعليم هذا الصنف من المعارف لكن لما كان الأغلب عليها كونها بسائط كان الحكم للأغلب فلم يعرف التركيب، ولما كان الأغلب على النشأة الإنسانية التركيب الطبيعي كان الحكم للأغلب فكان له التأييد في تركيب الحقائق وذلك من الاسمين المدبّر والمفصّل اللذين هما من رؤوساء الأسماء.

وقال تعالى:

﴿**يدبر الأمر**﴾[1] هو عالم الأرواح.

﴿**يفصل الآيات**﴾[2] في عالم الجسوم.

فقد جمع الإنسان في حقيقته بين العلمين.

- العلم الضروري: وبه يشارك الملائكة.
- والعلم النظري: وبه تميّز عنهم.

ومما تميز الإنسان عنهم به أيضاً بتصور المعلومات ذوات الصور وليس للروحانيين من هذا التصور شيء، وإن كان لهم العلم.

وهذا كله راجع إلى اختلاف النشأة، وكذلك إذا وقفت يا وليّ على نشأة هذه الجسوم على طبقاتها كما ذكرناه في كتاب «الجسوم الإنسانية»[3].

وإنما هي خمسة أنواع يعطي كل نوع منها ما لا يعطيه الآخر وهو جسم آدم، وجسم حواء، وجسم عيسى (عليهم السلام) وأجسام بني آدم، والأجسام المدركة للمتصور في عالم الخيال والتمثل، وأجسام التعفين إذا اتفق أن يعطي نشأة الإنسان من جنس جسم آدم (عليه السلام).

---

(١) الآية رقم (٢) من سورة الرعد.

(٢) تابع الآية السابقة استكمالها.

(٣) طبع هذا الكتاب أول طبعة له ليدن ١٩٤٨ وأخرى ١٩٩٩ بمكتبة عالم الفكر.

والتعفين المشروط فإنه قد جاء في الخبر: «**إن الله خمَّر طينة آدم**»[(١)].

والخميرة: هي تعفين العجين ليغلب عليه الجزء الهيولاني وهو الحرارة والرطوبة، وهو طبع الحياة، فانظر هذا الفصل في ذلك الكتاب نظر منصف مستفيد، ثم لتعلم أن قول الصوفي في الفلك أنه يدور بأنفاس العالم. يريد العالم المتنفس أي علّة دورانه وجود الأنفاس. أي عند دورانه يحدث الله الأنفاس. فإذا لم يبق فيه حركة تعطى نفساً في متنفس لم يعط حياة، وإذا لم يعط حياة فقد ذهبت الحياة منه، وإذا ذهبت الحياة عنه لم يبق له شوق، وإذا لم يبق له شوق لم تكن له حركة، وإذا لم تكن له حركة انفطرت الكرة وذهب العالم العنصري بأجمعه. وقد ذكر هذه المسألة «أبو طالب»[(٢)] وما فسرها في باب الأوقات.

فهذا نوع واحد من الأنواع التي يقال من أجلها أن الفلك يدور بأنفاس العالم.

وميثاق آخر في ذلك وهو أن الفلك لما دار أعطى المولدات ابتداء في أول دورانه، وعدد دورانه بعدد الأنفاس الكائنة في المولدات فهو يدور بعدد ذلك فإذا انتهى انخرم النظام وانتقل العمارة إلى الآخر بالحركة العظمى المحيطة التي قد يشاء الحق أن لا تنخرم أبداً. شرعاً وحكماً ولذلك لا ينخرم العالم انخرام عدم، وإنما الخرامة انخرام انتقال وتحول وتبدل. فصور تخلع من الجوهر، وصور تخلع عليه وبتلك الدورة الكبرى يبقى العالم في البرزخ وفي الدار الآخرة أبد الآبدين لا يزول ولا يفنى، واستمداده من حضرة الديمومية وبهذا يتعشق وهي المبقية لعينه، ولهذا كانت حركات العالم شوقية كلها من أجل التجلي على البعد الذي ظهر للعالم فانزعجت الأرواح للّحوق بذلك المحل الأشرف انزعاجاً روحانياً مقدّساً فانزعجت الهياكل من عالم التركيب [-][(٣)] لانزعاج الأرواح فظهرت الحركات في الأجسام لقبول الجسم للحركة ولطول المدى عرضت الآفات في الطريق للكل بتجلي صور الأعراض لهم فاختلفت المقاصد بعدما كان الأمر واحداً، وبقي الشوق على وحدانيته فما في الوجود حركة إلاّ شوقية وإن اختلف المشوق إليه بحكم الصور وإن كانت العين واحدة فيظهر بصورة اللذة، وصورة النجاة والنور، وصورة الجمال الأثري الهارب من الموت يتخيل أن حركته حركة خوفية وهي حركة

(١) حديث: (**إن الله خمَّر طينة آدم**). قال الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وسلمان الفارسي بإسناد ضعيف جداً. ثم قال: وهو باطل. انظر: **الإحياء** ثم انظر هامش رقم ٤٩ من الأحاديث التي وردت في كتاب **منارات السائرين**.

(٢) (أبو طالب) هو: محمد بن علي بن عطية الحارثي، المكي (أبو طالب) الصوفي من أهل الجبل نشأ بمكة، ودخل البصرة، وقدم بغداد، وتوفي بها سنة ٣٨٦ هـ. من كتبه: قوت القلوب في معاملة المحبوب، انظر: كحالة: **معجم المؤلفين** ٢٧/١١، البغدادي: **هدية العارفين** ٥٥/٢، ابن العباد: **شذرات الذهب** ١٢٠/٣، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة** ١٧٥/٤.

(٣) ما بين المعقوفتين ورد في المخطوط هكذا [فلك لك] وبينهما مسافة.

شوقية إلى صورة بقاء الحياة لا إلى الحياة فإنه ملبوس بها فإن الحركة ليس سببها إلاّ ما هي إليه نهايتها لا ما هي منه بدايتها فإن الفراق يناقض الاشتياق.

والشوق طلب الوصلة بالمشوق إليه فالحركة له لا لغيره. وهذا الباب وهذه الحضرة عجيبة ذكرناها في غير هذا الكتاب على ما يعطيه التحقيق في الأمور. فافهم.

وأمّا كونه أن جُعِلَ خليفة في الأرض، دون السماء، ودون الجنة والنار فلما يذكره. وذلك أن الأرض محل الجمع، ومنزل المزج والاختلاط. فهي الجامعة لأصناف الموجودات المختلفات والمتضادات من أهل المخالفة والموافقة. عالم الرحمة، وعالم الغضب، وعالم القهر، وعالم العفو، وعالم الذلة، وعالم العز، وعالم الفقر، وعالم الغنا، وعالم الحق، وعالم الدعاء، وعالم الخلق، وعالم الأمر، وعالم الجن، وعالم الشياطين إلى غير ذلك من العوالم فهي الدار الجامعة، والحضرة الشاملة بجميع ما أعطته جميع الأسماء والخليفة من حيث ما هو خليفة لا بد أن يظهر بصورة المستخلف له.

ولهذا قال: «**إن الله خلق آدم على صورته**»(١).

وجمع له بين يديه لما أنشأه ليكون قوياً في سلطانه بتأمل جبلته(٢) حيث ظهرت عن اليدين ثم إنه حصّل علم الأسماء بحقيقته أيضاً فلم يتعين خلافة في العالم إلاّ له. فالإنسان الكامل هو حاجب الحق في عالمه والنائب عنه فيهم فيصرف فيهم أسماءه بحسب ما يُعطيه المحكوم عليه. فهو يتجلى للعالم في صورة مختلفة.

فتارة يظهر في صورة العزيز، وهو ظهور ذاتي له شامل، وتارة في صورة الرحمة، وتارة في صورة الشدة والقوة، وتارة في صورة الانتقام والقهر، وتارة في صورة المغفرة والحلم، وفي صورة العفو، وفي صورة اللطف، وفي صورة الفرح، وفي صورة التعجب، وفي صورة البشاشة.

والمقصود أن الحضرة الجامعة الشاملة لجميع الأسماء الإلهية كما هو جامع بحقائق الأكوان كلها. فتجمعيته لحقائق الأكوان يعرف مصادر الأكوان ومواردها، وكيفيات حركاتها وسكناتها، وأنفاسها وما يكون لها ومنها لأنها هو، وهو هي. ولجمعية الأسماء الإلهية كان له الحكم عليها والتصرف فيها وكان لها الانقياد إليه والالتفات لجنابه كما قال تعالى:

﴿**وسخّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه**﴾(١). فقوله: «منه» من جهة الأسماء، ولم يوجد هذا الأمر في غير الأرض. فإن السموات العُلَى عالم تَقديس وتنزيه لا عالم

---

(١) تقدم تخريج هذا الحديث.

(٢) غير واضحة في المخطوط.

تدنيس وتشويه. وعالم دار الجنة عالم سعادة وكشف. وعالم دار النار دار شقاوة وحجاب. وعالم البرزخ عالم مثال لا عالم حقيقة، وما ثم محل آخر أصلاً إلاّ دار الدنيا. فإن الأرواح المفارقة لا تصلح لعالم الأجسام، ولا يظهر كمال الأسماء إلاّ بالروحانيات والجسمانيات فلا بد من السطوتين، ولا بد من الرحمتين. فيهما كمال الوجود من حيث الخلافة. فلا بد من الأرض أن تكون مسكن الخليفة إلى أن يخلع هذه الخلعة، وينزل عن كرسي النيابة ويتولى الحق تعالى عباده على الكشف منهم لذلك.

فلهذا كان جعله خليفة في الأرض دون السماء. وأمّا طوع الملائكة الله الامتثال الأمر بالسجود دون إبليس وقد شمله الخطاب معهم بعد قولهم فيه ما جاء به نص القرآن في قوله:

﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾[٢].

لكونهم رأوه مركباً من الأضداد، ولا بد للضد أن ينازع ضدّه فقالوا حقاً ونطقوا صدقاً، وكذا وقع في الأمر في عالم الأنس لكن غاب عنهم سر القتل المشروع والفساد المشروع من غير المشروع والصورة واحدة والحكم مختلف من أجل الوضع من أجل النزول الحق. **﴿وأتُوا به متشابها﴾**[٣] في الصورة. فإذا ذاقوا عرفوا الفرق والميز. وما حجب القلب عن دركه سواك فحكموا بما تعطيه النشأة، وغابوا عن الاختصاص، وظهر ما قالوه من الفساد في الأرض وسفك الدماء على يدي هذه النشأة. فلما صحت لهم التلمذة وصحّت لهم الشيخوخة والأستاذية عليهم دون إبليس حيث لم يحضر معهم هذا الموطن كان هذا من الأسباب المعينة لسرعة الامتثال عند ورود الأمر بالسجود له، ولأن حقائقهم لا تعطي المنازعة والمخالفة، ولذا ربّما سُمّوا عالم الأمر، وليس عندهم نهي أصلاً حتى لا تختلف الكلمة فيهم. فهم الأمر المحض والخبر المحض وهم في اللذة المحضة، خلقوا في مقاماتهم المعلومة فلم يكن لهم نزق، فإن في النزقي تشوش ومكابدة، فهم المصونون فلم يكن مانع يمنعهم من المبادرة لامتثال الأمر، ولم يكن أيضاً هذا المأمور له بالسجود من جنسهم كما قال تعالى:

﴿لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾[٤].

وقال:

---

(١) الآية رقم (١٣) من سورة الجاثية.

(٢) الآية رقم (٣٠) من سورة البقرة.

(٣) الآية رقم (٢٥) من سورة البقرة.

(٤) الآية رقم (٩٥) من سورة الإسراء.

﴿**لو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلا**﴾[1] يعني الرسول.

فلا يكبر على غير الجنس خدمة من ليس من جنسه فإنه ليس فيه حظ في مرتبته، وعلى قدر ما يقرب المشاركة في الجنسية تقع الإبابة والحَسَد. هذا هو المعروف من الحقائق فيما يعطيه عالم الأمشاج والظُّلَم. فاجتمع لإبليس أمرين:

ـ الواحد: أنه لم يحضر موطن التعليم فيلزمه الخبر به بحكم العلم.

ـ وهو في الجنس لأنه من العالم العنصري، وإن كان الغالب عليه النار، وغلب ناره على نوره. فإن له في التوراة صورة من حيث النفخ الشامل له ولغيره من عالم العناصر. كما أن آدم في العالم العنصري، وإن كان الغالب عليه الطين، فنوره غالب على طينه. فكان العالم المطيع. فلهذا القرب النسبي والجنسية وقعت الإبابة والحسد. وأخذ يُفضل بعض العناصر على بعض، ولامفاضلة فيها أَلْبتَّة من حيث الذات لأن كل ذات على حقيقتها، وإن كان بينهما الأمر الجامع وهي اليبوسة ولكن لما لم يجعله تراباً وجعله طيناً، وهو امتزاج الماء بالتراب. نظر إلى عنصر الماء الذي هو نقيض ما افتخر به، فأخذ يصادمه مصادمة الضد. فلهذا وقعت الإبابة منه، ولحق بالآخرين إلى يوم الدين. فهو العدوّ بالطبع، الناصح بالعَرَض. فانظروا يا إخواننا ما لشرف الإنسان.

وأمَّا المخالفة التي وقعت من هذا الخليفة فلم تقع منه من حيث ذاته، ولا من حيث مرتبته. وإنما وقعت من حيث أنه كان حاملاً للموافق وللمخالف، وقبضه جامعاً للطائع والعاصي فتحرك النسب المخالف منه بالمخالفة لأن الجنة ليست موطنه فهو يتضرر بها كما تضرر رياح الورد بالجعل فكانت سبباً لخلافته، وتميز القبضتين منه في دار المزج، فانقلب فريق السعادة إلى الجنة وفريق الشقاوة إلى النار، حتى لو رام أهل النار الذين هم أهلها أن يدخلوا الجنة ما استطاعوا، ولسارعوا إلى النار مسارعة الحديد إلى المغناطيس، وكذلك أهل الجنة. وهذا لا يعرفه إلاّ طائفتنا لا غير.

وقد أشار النبي (صلى الله عليه وسلم) إشارة لطيفة إلى ذلك علمها من علمها.

«**إنكم لتقَّحَّمون في النار، وأنا آخذٌ بحجزكم، وأنتم تأبون**»[2].

وأخبرنا ثقات أن ببلاد اليمن طائفة يُسَمُّون أولاد أم عيسى، إذا عاينوا الضبع لايتملكون أن

(١) الآية رقم (٩) من سورة الأنعام.

(٢) حديث: (**إنكم لتقحُمون في النار...**)، رواه مسلم في الفضائل ١٨، والترمذي في الأدب ٨٢، وأحمد بن حنبل ٢/ ٥٤٠. انظر: **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث** ٥/٣٠٦ مادة (قحم).

يرموا أنفسهم عليه حتى يأكلهم.

ورأيت من صلاّحهم بمكة رجلاً وهو انزعاج يقتضيه طبعهم المناسب المنجذب إليه كذلك أصحاب النار.

فافهموا فإن الأسرار لا تحتمل فوق هذا الكشف رتبة فكانت مخالفة حكمة لنهي حكمة، لا مخالفة حكم لنهي حكم.

وانتهى الغرض بمنه.

والله يتولانا وإياكم بما يتولى به عباده الصالحين. .

كتبها لنفسه أحمد أبي بكر وهو حامد لله تعالى على نعمه لسبع خلون من رمضان سنة واحد وعشرين وثمان مائة من نسخة مكتوبة بحضرة مُنْشِئِها وكان معتكفاً بجامع دمشق في النصف من شهر رمضان من سنة إحدى وعشرين وستمائة.

والكاتب أيوب بن لاشين صور وقرأ عليه قدس الله سرّه في العشر الليالي من ذي الحجة من سنة إحدى وعشرين وستمائة وعليه خطه رضي الله عنه ما كذا صح ما ذكره وكتب المسني في تاريخه.

بلغت المقابلة على النسخة المذكورة لخمس بقيت من شهر شوال سنة ثلاث وعشرين وثمان مائة.